عهد زاخر بالإنجازات

د. محمد بن سعد العصيمي

مقدمة

أحمد الله سبحانه وتعالى على ما أولاني من نعم كثيرة لا تعد ولا تحصى، فبعد نعمة الدين والصحة ونعمة لغة القرآن الأمن والأمان والمال والأهل والولد.. أنعم عليَّ بأن أكون من هذه البلاد العزيزة، التي شرفها الله بالحرمين الشريفين، وجعل بها قبلة المسلمين ومهوى أفئدتهم، وأن يكون عملي في مجال التربية والتعليم معلماً فمبتعثا ثم أستاذاً مساعداً بكلية المعلمين ومركز العلوم والرياضيات بالرياض ثم مسؤولاً بجهاز الوزارة في الرياض لربع قرن من الزمن، تدرجت في العمل من مدير عام للبحوث عام ١٤٠١هـ (١٩٨١م) إلى مدير عام للإشراف التربوي والتدريب (١٤٠٦هـ)، فمدير عام للتوجيه والإرشاد (١٤١٢هـ) فوكيل مساعد لشؤون الطلاب (١٤١٦هـ) فأمين عام للجنة العليا لسياسة التعليم (١٤٢٢هـ) وأخيراً وكيلاً للوزارة للتطوير التربوي (١٤٢٣هـ) لأتقاعد في عام ١٤٢٧هـ بعد خدمة خمس وثلاثين سنة، أسأل الله العظيم جلت قدرته أن يتقبل مني ما قدمت، ويعفو عن تقصيري إنه عفو كريم يحب العفو سبحانه وتعالى.

ومصدر اعتزازي بالعمل في التربية والتعليم أن المجال فيهما أوسع من غيرهما في مساعدة الأجيال على العلم والتعلم وسلوك دروب الخير والأدب والهداية والرشد، وتهيئتهم للحياة والإسهام في خدمة الدين الحنيف، وتنمية البلاد ورقيها بالمعلم القدوة والعالم الجليل والطبيب الماهر والفرد المتقن لعمله في أي مجال: خلقاً وسلوكاً وأداء، وإضافة إلى ذلك الإسهام بإيجابية في دفع عجلة الحضارة الإنسانية عموماً إلى ما فيه

وكيل وزارة التربية والتعليم للتطوير التربوي سابقاً.

خير الإنسان أينما كان. كما اعتز بنخبة حظيت بالعمل معهم رؤساء ومرؤوسين منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، أسأل الله أن يرحم من انتقل منهم للدار الآخرة وجمعني بهم في الفردوس الأعلى من الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، وأن يوفقني وإخواني الباقين إلى ما يحبه ويرضاه وأن يحسن لنا الخاتمة، تعلمت منهم الكثير وعملنا يداً بيد بروح الأخوة والمحبة وروح الفريق.. وإن اختلفنا في الرأي فذلك لا يفسد للود قضية.. ومن أبرز أولئك الأحبة معالي الأخ العزيز والزميل الكريم المربي الأستاذ الدكتور محمد بن أحمد الرشيد وزير التربية والتعليم الأسبق، وفقه الله وأخذ بيده إلى كل ما فيه الخير والصلاح.

سجل الذكريات

تتمثل مشاركتي مع زملائي في هذا السجل في مشاهد ومواقف من العمل التربوي والإداري أملاً في تواصل الخبرات والعبرة والفائدة لعل فيها ما يخدم مسيرة العمل التربوي والإداري، لأهمية تراكم الخبرة في تطور العمل وتحقيق الأهداف، لا سيما وأن هم المصلحة العامة وتنمية الوطن ورقيه يجب ألا يتوقف بالتقاعد أو تغير العمل. ولعل من أبرز سمات هذه الحقبة من الزمن: العمل الدؤوب على كل المستويات: المدرسة، وإدارة التعليم، والوزارة، والتعامل الودي جداً بين جميع الأطراف.

فعندما تولى معالي أ. د محمد الرشيد حقيبة وزارة التربية والتعليم (المعارف آنذاك)، وكان ذلك في شهر ربيع الأول عام ١٤١٦هـ كلفت بعد وقت قصير وكيلاً مساعداً لشؤون الطلاب، وقد كنت مديراً عاماً للتوجيه والإرشاد بهذه الوكالة المساعدة، التي تشتمل على الإدارات العامة: للتوجيه والإرشاد، والنشاط، والاختبارات، والصحة المدرسية، وشؤون الطلاب، والمعادلات، ولعل من أبرز المواقف التي قصدت تسجيلها هنا الآتي:

١ - وضع الرؤية:

وتـم ذلك من خلال لقاء معالي الوزير بدعـوة من الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية (جستن) بجامعة الملك سعود مع جمع كبير جداً من التربويين والمهتمين من داخـل الـوزارة وخارجها ومن الرياض وخارجها تحت عنـوان «تعليمنا إلى أين؟» وأهمية هـذا اللقـاء تكمن في أن المجتمـع ينتظر ماذا سيعمـل كل مسؤول يتولـى منصباً كبيراً لـه أهمية وخصوصـاً عندما يكون الشأن هو شـأن التربية والتعليـم، وليس من المألوف فـي مجتمعنا أن يضـع المسؤول رؤيته وبرنامج عمله، ويحـاور المهتمين والمتخصصين فـي لقاء عام كهذا. وتبـرز الأهمية في أنه وضع رؤيته المستقبلـة للعمل لمختلف جوانب العمليـة التربوية، وحـاور الحضور واتسم اللقاء بالشفافية والثقـة والتفاؤل، وتم تسجيل هـذه المحاضرة بالصوت والصورة، وهو تسجيل موجود ضمن وثائق الجمعية لمـن أراد الرجـوع إليها، بل أوصي بذلك كما أنها فرّغت فيما بعد في كتاب مطبوع يمكن الحصول عليـه مـن الـوزارة، وهذا موقف محمـود ومنهج راق ومهـم، حبذا الأخذ بـه من قبل كل مسـؤول، وزاد مـن أهمية هذا اللقـاء ما تحقق من تلك الرؤيـة والتطلعات بفضل الله ثم بفضـل قيـادة العمل الموفقـة بروح التفاهم والفريـق الواحد وتحفيـز المعنيين في بيئة العمل وتفاعلهم على مستوى المدرسة وإدارة التعليم والوزارة.

٢ - التواصل مع العاملين ومشاركتهم الرأي:

تـم ذلك من خلال لقـاءات دوريـة أسبوعية وشهريـة وسنوية، أذكر منهـا الاجتماع الأسبوعـي المستمـر لقيادات الـوزارة كل أربعاء، والشهـري لمديري العمـوم، والسنوي للقيـادات التربوية على مستوى الوزارة والمناطـق وكليات المعلمين / وجميعها لم تتوقف خـلال العشر سنوات، وتم ذلـك أيضاً من خلال التواصل المكثف بيـن الميدان والوزارة والمشاركيـن من خارجها، وكذلـك من خلال تضاعف برامج التدريـب على رأس العمل، والاتصـال الجيد مع الفكر التربوي داخليـاً وخارجياً مع المنظمات المتخصصة، ودخول المملكة في مجالسها التنفيذية (العربية منها والعالمية)، وكذلك سبر تجارب العالم من

خـلال الزيارات الميدانية التي رصدت في كتاب قيم بعنوان: «ملامح من نظم التعليم في بعض الدول مـن واقع تقارير الزيـارات الدولية لمسؤولي وزارة المعـارف، ويقع في ٣١٦ صفحة وبدأ بعرض المجالات، ثم انتهى إلى مشروعات تطويرية مقترحة نفذ العديد منها علـى أرض الواقـع، وهو صادر عـن إدارة البحوث والدراسات بالتطويـر التربوي في عام ١٤٢٤هـ، يضاف إلى ذلك تعدد الدوريات، وفي مقدمتها مجلة المعرفة التي أعيد نشرها بعـد توقف طويل، وصدرت منها عشرات الأعداد، وما زالت، وتميزت حتى خارج المملكة. وكذلـك استمرار إصـدار مجلة التوثيق التربـوي، وإصدارات أخرى جديـدة منها: مجلة مناهج، ومجلـة كليات المعلمين المحكمة علمياً ورسالة الكليـات، وكذلك رسالة التطوير التربـوي. وبالرغم مما تحقق نتيجة لذلك إلا أن هنـاك مشكلة المواكبة بين التنفيذ على مستوى المدرسة والتخطيط على مستوى الوزارة وإدارة التعليم، وهي مشكلة أزلية تتفاوت فيها النسبة حتى قال البعض: إن بعض الأفكار التطويرية تتحطم على أسوار المدرسة.

٣ - الهيكل التنظيمي للوزارة:

وكان مـن أولويـات إدارة الـوزارة الجديـدة الاهتمام بهيـكل الـوزارة الإداري لأهمية الإدارة فـي قيادة العمل وجودتـه وإنجاحه وعد الوزير الهيكل العربـة الموصلة للأهداف، وكانـت الـوزارة محدودة بوكيل واحد فقـط تصب عنده أعمال الـوزارة كلها، تربوية كانت أم إداريـة، مـع ضخامة جهاز الوزارة مقارنـة بالوزارات الأخرى – حيـث لا يوجد بجهاز الـوزارة إلا مرتبـة واحدة فقط في الخامسـة عشرة، في حين أن بعض الـوزارات الأخرى تحظـى بمستويات وظيفية أكثر وأعلى. إلا أن مراتب الوزارة العليا في نهاية العشر سنوات بلغت – بفضل الله ثم دعم ولاة الأمر ومتابعة الوزير – مرتبة واحدة ممتازة وبضع عشرة مرتبـة في الخامسة عشرة. ولتوزيـع العمل وتطويره وإعطاء الصلاحيـات أنشأت الوزارة عدة وكالات، اختيرت لها نخبة من المؤهلين ذوي الخبرة من داخل الوزارة وخارجها، منها – على سبيل المثال -: إدارة شؤون كليات المعلمين (أو إعداد المعلمين)، ومع أنها تشرف علـى بضع عشرة كلية، يزيد طلابها علـى ثلاثين ألفا، فقد كانت إدارة عامة ترتبط بوكيل مساعد يرتبط بدوره بالوكيل ثم الوزير بعد ذلك، فأصبحت وكالة مستقلة لكليات المعلمين

ترتبط مباشرة بالوزير وأصبح لها مجلسها العلمي كالجامعات ودوريتها العلمية المحكمة، بعد اختيار أخينا الفاضل د. محمد بن حسن الصائغ وكيلاً لها بخبرته المعروفة في عمادة كليـة المعلمين بالرياض لفترتين (ثماني سنوات) إضافة إلى خبرته وعمله السابق مديراً عاماً في جهاز الوزارة ومعاراً لإدارة الدراسات بمجلس الشورى عند إنشائه (١٤١٤هـ).

٤ - منح الصلاحيات وإعطاء الثقة والمحاسبية:

ومما يذكر ويشكر لإدارة الوزير في هذا الخصوص خلال هذه المدة هو منح الصلاحيات، حتى أصبحت عبارة: «اعملوا فإن حدودكم السماء» مألوفة خصوصاً، وهي صادرة من الرجل الأول في الوزارة إلى قيادات الوزارة والمسؤولين بالمناطق، وتحمله، أو مشاركته في تحمل مسؤولية الخطأ غير المقصود الناتج عن الاجتهاد، تشجيعاً على المبادرات وتحمل المسؤوليات، وهو نهج يعطي الثقة ويشجع المبادرات والعاملين، ومما أذكره للفائدة في مجال إعطاء الثقة والمسؤولية – واستشهدت به مثالاً لا حصراً في برنامج الجودة، الذي ضم عدداً من مديري التعليم ومختصين من خارج المملكة، كمثال على أرض الواقع، وليس تنظيراً عندما كان الحديث عن الموضوع ذاته – أنني تشرفت برئاسة وفد لنخبة من الزملاء الأفاضل من الوزارة وخارجها لزيارة ماليزيا وسنغافورة وكوريا. وعندما اتصلت بمعالي الوزير من ماليزيا لأحيطه علماً بما وجدنا من رؤية واضحة وتميز في هذا البلد المسلم، الذي يقود أنموذجاً ناجحاً في التنمية، وأهمية التواصل معه من خلال نوع من اتفاقية تعاون أو مذكرة تفاهم للإفادة من التجربة الماليزية المتميزة. فأجاب بما لا يتصوره أحد مباشرة: «أنت وزير التربية عندك»، وهي عبارة ملؤها الثقة والاطمئنان، وبالمناسبة فقد تم اتخاذ اللازم بالتنسيق مع سعادة السفير المتميز هناك الأستاذ محمد حسن عبد الولي، الذي هو بحق من خيرة من قابلت من ممثلينا في خارج المملكة، باهتمامه وحسن متابعته وحرصه على عمله الرسمي وتفرغه له، جزاه الله خير الجزاء في الدنيا والآخرة وأكثر من أمثاله.

ومما جاء حول إعطاء الصلاحيات والحد من المركزية في ندوة مديري الشؤون المالية والإدارية بالرياض التي عقدت من ١٨-١٩/١٠/١٤١٧هـ قول المسؤول الأول

في الوزارة في كلمته الافتتاحية: «لامركزية في العمل، أعط الناس المسؤوليات والصلاحيات، وراقبهم ثم حاسبهم، فأنا لا أؤمن بالمركزية على الإطلاق، أرجو من باب حبي لكم ولبلدي ولكياني العظيم الذي نعيش تحت سقفه المملكة العربية السعودية وحبي للتربية والتعليم وحبي لأبناء بلدي العزيز، أرجو أن يأتي اليوم الذي أرى انعدام المركزية في العمل، لأن الحكمة ليست مقصورة على أحد دون غيره».

٥ - برامج النشاط:

وإن أنسى لا أنسى من المواقف تلك الدفعة الكبيرة والثقة التي أعطيت لنشاط الطلاب من سمو وزير الداخلية ومعالي الوزير – وفقهما الله – بعد أن تحمل زملائي وأنا معهم في شؤون الطلاب والنشاط بخاصة المسؤولية في ضوء أهمية النشاط الكبيرة في العملية التعليمية، وذلك بإزاحة النقد غير الموضوعي، والريبة حول النشاط وبرامجه، لأنه من الخير للأبناء استثمار وقت فراغهم في مؤسساتهم التربوية ببرامج تربوية واضحة المعالم والأهداف، تحت إشراف واع من معلميهم وتحت أنظار الوزارة، وكان من ثمار ذلك تنوع البرامج ومشاركة أكبر عدد من أبنائنا الطلاب، وكان الشعار الذي أطلقه معالي الوزير وعملنا وسعنا لتحقيقه: "المشاركون الجميع والمشاهدون صفر"، في المجتمع الطلابي.

وتم تمثيل المملكة في الخارج خير تمثيل، حيث حقق أبناؤنا بفضل الله من خلال مشاركاتهم المركز الأول في الدورة الرياضية المدرسية العربية الثانية عشرة في المغرب بوفد يزيد على ثمانين مشاركاً ومشرفاً تشرفت برئاسته، كما حازت المملكة فيها بفضل الله كأس الوفد المثالي، ويوم عودتي إلى المملكة قابلت معالي الوزير لأحدثه عن إنجاز الأبناء والزملاء، فاتصل فوراً بمكتب سمو ولي العهد (آنذاك - رحمه الله) الأمير سلطان بن عبدالعزيز ورتب لقاء مع سموه لجميع أعضاء الوفد تقديراً للإنجاز وإحاطة ولي الأمر بشكل مباشر، وهذا من المواقف المشهود فيها للوزير والوزارة في هذا العهد بالإدارة الفاعلة والتحرك السريع المباشر، حتى وإن كان التنسيق مع جهات عليا لها ارتباطاتها الكثيرة ومسؤولياتها الكبيرة.

كما حققت المملكة بوفدهـا الطلابي البطولة العربية الأولى لكرة السلة التي أقيمت فـي بيروت وتشرفت فيها كذلـك برئاسة وفد المملكة. وتوالت مشاركات أخرى فاعلة في مختلف مجالات النشاط العلمي والأدبي والرياضي والكشفي والفني عربياً ودولياً، وحازت المملكة مراكز متقدمة. وقد تحقق لتلك الوفود الإعداد الفني والسلوكي الجيدين، وحفز المشاركيـن على استشعار المسؤولية الوطنيـة والرياضية، وكان التأكيد على الجدية في الأداء فـي الميدان وحسن السلـوك الذي يعبر عن الوطن وأبنائـه، وكانت اللحمة كبيرة بين رئاسة الوفد والمشرفين والطلاب في السكن والمصلى والتمارين والتغذية والبرامج الاجتماعيـة والترويحية، مما زاد فرص التلاحم والاهتمام والجدية وعزز الثقة والتمثيل الجيد للوطن والتفوق في الأداء، وهذه من أهم السمات التي ينبغي أن يتحلى بها كل وفد يمثل المملكة سلوكاً وإنجازاً، سواءً كان من وزارة التربية والتعليم أو غيرها.

٦ - المؤسسية في العمل:

يتجلـى التوجـه نحـو العمـل المؤسسي في إصـدار العديد مـن التنظيمـات واللوائح المنظمـة للعمل إما كانت موجودة فتم تطويرها، أو جديـدة، وذلك بالتعاون مع الميدان، ومن ذلك إعداد عدد من الأدلة وطباعتها وتوزيعها على المناطق والمدارس، وهو توجه له أهميته في تأطير العمل وتيسيره نحو بناء العمل المؤسسي الذي لا يرتبط بمغادرة مسؤول حاضـر وقدوم آخر، وهـو أمر لـه أهميته في الإدارة وكان محط اهتمام من الوزارة، ومن هذه الأدلة على سبيل المثال لا الحصر في الإدارات التي عملت بها وليس عموم الوزارة:

- دليل المعادلات (مطبوع)، وهو قيم في رصد أنظمة التعليم العام في العالم، بما يخدم احتياج معادلة الشهادات الواردة من مختلف دول العالم.

- تحديـث دليـل الطالب التعليمي والمهني الذي صدر منه عدة طبعات من خلال رصد المجـالات أمـام خريـج الثانويـة العامـة إلى درجـة النسبـة المئوية للاحتيـاج في كل تخصصـ لمساعدة الطلاب في الاختيـار، وفقاً لحاجة سوق العمل بناء على المعلومات

الواردة من الجهات المختصة، ومنها الخدمة المدنية، العمل، التخطيط، وتكمن أهميته في مساعدة الطالب على اختيار مساره المستقبلي، وقد حظي للحق باهتمام خاص ومتابعة لصيقة من قبل معالي الوزير وفقه الله وجزاه خيراً على كل ما قدم.

- دليل التغذية.
- دليل القبول والتسجيل.
- دليل المكافآت والإعانات الطلابية.
- دليل النقل المدرسي.
- دليل المرشد الطلابي.
- لائحة وتنظيمات المقاصف المدرسية.
- الميثاق الأخلاقي لمهنة المرشد الطلابي.
- دليل النشاط.
- دليل المعلم لتنمية مهارات التفكير.
- دليل معلم العلوم الشرعية (لأول مرة إضافة إلى أدلة المعلم لبقية المواد الدراسية الموجودة سابقاً).
- دليل المعلم لتفعيل برنامج الأدب النبوي.

وفي السياق نفسه يضاف إلى ذلك استصدار قرار مجلس الوزراء الموقر بالقواعد المنظمة للتقويم الدراسي رقم ٧١ في ١٤١٧/٥/١٨هـ، لوضع الأسس العامة والمعايير للتقويم الدراسي السنوي (كبداية العام الدراسي ونهايته ومدة الفصل الدراسي والإجازات) لأهمية التخطيط المبكر ولتنظيم سير أعمال العام الدراسي، ومن ثم وفي ضوء ذلك تم وضع مشروع التقويم الدراسي لعشر سنوات، وعرض على اللجنة العليا لسياسة التعليم، وتأجل بناء على رغبة بعض القطاعات للتنسيق مع برامجها وأهدافها، ثم صدر مؤخراً ولله الحمد.

٧ - العلاقات الإنسانية:

كانت الوزارة خلال هذه المدة من ١٤١٦-١٤٢٥هـ مضرب المثل في العلاقات الإنسانية، في الوفاء لمنسوبيها في أفراحهم وأتراحهم فيتنادون، رؤساء ومرؤوسين، للوقوف بعضهم مع بعض، حيث تجدهم في مناسبة زفاف مهنئين، أو زيارة مريض مواسين، أو حضور جنازة داعين، ومهاتفين أو كاتبين إذا كان ذلك بعيداً، وأذكر على سبيل المثال لا الحصر عند وفاة أخينا الفاضل د. إبراهيم بن عبد الرحمن الدريس -رحمه الله- أمين عام اللجنة العليا لسياسة التعليم الأسبق، وكان ذلك خلال إجازة العيد في العشر الأواخر من رمضان، واجتمعت له جموع كبيرة من منسوبي الوزارة من داخل الرياض وخارجها بعد أن انفض الجميع في إجازاتهم، وكان في مقدمتهم معالي وزير التربية والتعليم ووكلاء الوزارة، الذين وقف بعضهم للعزاء مع أبناء الفقيد مدة العزاء، وأخص بالذكر معالي الوزير، ثم خصص الاجتماع الأسبوعي في الوزارة لتأبين الفقيد بحضور أبنائه وذويه وفي مقدمتهم الشيخ عبد الله بن إدريس الأديب المعروف ورئيس النادي الأدبي الأسبق في الرياض.. وانبثق عن ذلك اللقاء إعداد كتيب عن الفقيد يرحمه الله وتسمية قاعة الاجتماعات الكبرى في الوزارة باسمه ومازالت حتى إعداد هذا المطبوع. ومن تلك المعاني الإنسانية مبادرة التكريم السنوي للمتقاعدين حتى غدا منهجاً سنوياً لم يقتصر على الوزارة بل أخذت به العديد من القطاعات الحكومية والأهلية إضافة إلى لقاء المعايدة الذي يقرب القلوب ويوفر الوقت للعمل، وهو كذلك نهج أخذت به العديد من القطاعات، حتى أصبح اليوم مألوفاً لدى الكثير.

ومشهد آخر ربما نسيه أخي أبو أحمد - وبعض الزملاء فيما عدا د.إبراهيم الدريس يرحمه الله الذي دونه في مذكراته المعروفة في شهر شوال عام ١٤١٦هـ - ولكني لا أنساه أبداً: كان في مناسبة زواج ابني د. عبد الله إذ قبل توزيع رقاع الدعوة وفي الاجتماع الشهري بادر معاليه وفقه الله بكل أريحية وصدق أخوة ومحبة إلى دعوة الزملاء أعضاء الاجتماع الذي يضم وكلاء الوزارة والوكلاء المساعدين ومديري العموم، وأكد على حضورهم جميعاً، وأنه سيحضر وسيجدونه بإذن الله قبلهم، وكان رجاؤه الحار ألا يتخلف أحد، وكان لذلك وقع كبير في نفسي وزملائي وأسرتي وجميع أحبتي.

٨ - برنامج لقاء الطلاب بكبار المسؤولين:

وهـو من البرامج التي قامت بها الوزارة خلال هذه المدة، وعقد منها عشرة لقاءات فـي عدد من المناطق، واستهدفـت إتاحة الفرصة للطلاب للحـوار مع شخصيات مهمة شقت طريقها إلى أعلى المستويات الوظيفية للدولة إسهاماً في تنمية وطنهم ورفعة شأنه وتحقيـق طموحاته وطموحات أبنائه، وفي مقدمتهم صاحب السمو الملكي وزير الداخلية الأميـر نايف بن عبد العزيـز، وسمو نائبه الأمير أحمد بن عبد العزيز وأصحاب المعالي وزراء التربيـة والتعليم، والمواصلات (النقل حالياً) والصحـة ووزراء دولة جزاهم الله جميعـاً خيـر الجـزاء، وكذلك إخوتـي وزملائي المنسقيـن لهذا البرنامج فـي المناطق والـوزارة وفـي مقدمتهم الأستاذ عبـد الله المساعد وفقه الله، ويحضـر اللقاء عادة ما يزيـد على ألـف طالب يبدأ بكلمة من الضيـف، ثم يفتح باب الحـوار بأسئلة ومداخلات مـن الطـلاب أنفسهم، وأذكر في لقـاء سمو وزير الداخلية وفقـه الله ورعاه قوله لأبنائه الطلاب: ليسمح لي زملائي وإخواني الإعلاميين أن أقول: أسئلتكم تفوقت على أسئلتهم، ثـم امتـد البرنامج بعد ذلك إلى حوار كبـار المسؤولين في المناطق ومـن مسؤولياتها.. وأوردت هـذا المشهد هنـا للتأكيد على أهمية تواصل الطلاب مـع مجتمعهم في مختلف الجوانـب لربط تعليمهـم بالحياة وإعدادهم لذلك والتفاعل معـه إيجابياً وتقديم نماذج لهم من حياتهم المعاصرة.

٩ - الدورة الرياضية المدرسية المحلية:

عندمـا فكـرت إدارة النشاط في إقامـة دورة رياضية مدرسية علـى مستوى المملكة يحضرها ما بين ١٢٠٠-١٣٠٠ طالب، ويشرف عليها ما يقرب من مئتين من المختصين، ويصاحـب ذلك ورش عمـل تخصصية لهم، وتطبق على أرض الواقـع، وتستهدف الدورة التقـاء الطلاب من جميع المناطق وإعدادهم لتمثيـل المملكة بأفضل صورة، وكذا إعداد القيـادات الإداريـة الرياضية لاستضافـة المناسبات العربية والعالميـة في المملكة، وقد عرضـن الموضـوع كالمتبع علـى معالي الوزير الذي أحالـه إلى لجنـة استشارية لم توافق

عليه ووضعت بعض الملاحظات، وبعد مناقشتي لمعاليه، طلب مني الاجتماع باللجنة وشرح وجهة النظر والتقيت باللجنة مع بعض زملائي المختصين في النشاط، والنشاط الرياضي. ثم عاد الرأي مرة أخرى بعدم الموافقة حرصاً منهم جزاهم الله خيراً على سلامة الطلاب عند السفر والانتقال من مناطقهم، وكذلك الإشراف على هذا العدد الكبير في مقر إقامة الدورة. فذهبت إلى الوزير وشرحت وجهة النظر مرة أخرى وأهمية إقامة الدورة، وتحملي المسؤولية مع زملائي في الوزارة والمناطق في الإشراف والمتابعة. فوافق جزاه الله خيراً وكانت الدورة الأولى التي تمت رعايتها وافتتاحها بجدة من قبل خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز حفظه الله (عندما كان وليا للعهد) بحضور حشد كبير من الطلاب وأولياء الأمور والمسؤولين ملأ أرجاء الملعب الرياضي بجدة وتحت إشراف إدارة التعليم بجدة ممثلة في ذلك الوقت بالدكتور خضر القرشي وزملائه. ثم استمرت بعد ذلك الدورات كل سنتين في منطقة، وتم منها حتى الآن ثمان أو عشر دورات حققت – بفضل الله – أهدافها إلى حد كبير: من تنافس شريف، وانضباط تحت إشراف مسؤول مهتم، وإعداد قدرات وطنية قيادية متمكنة، زادت خبرتها وتمكنها في مجال إدارة المهرجانات الرياضية ومسابقات التربية البدنية، لتمثيل المملكة بصورة مثلى واستضافة مناسباتها العربية والدولية. وتتمثل أهمية هذا المشهد في العزيمة على إتمام المبادرات والإقناع بها في جو من الحوار البناء السائد في الوزارة، هذا من ناحية، وتقبل الرأي الآخر من قبل القيادة في الوزارة وتفهمها من ناحية أخرى.

١٠ - الصحة المدرسية:

خلال هذه المدة تحققت – في اعتقادي – نقلة نوعية كبيرة للصحة المدرسية، إذ تحول التركيز من الجانب العلاجي إلى الجانب الوقائي، وهو الدور الذي ينبغي أن تقوم به المدرسة. فمع أهمية الجانب العلاجي الذي استمر ومازال، فإن إعداد النشء في الجانب المعرفي: توعية ووقاية وحفاظاً على صحتهم وصحة أسرهم ومجتمعهم من مسؤولية المدرسة وأجهزة الوزارة المعنية في جهاز الوزارة والمناطق. وعلى إثر ذلك قامت برامج عديدة في التغذية المدرسية.

مثـل: برنامج «غـذاؤك حياتك» الذي بدأ بعدد محدود وبلـغ أكثر من خمسمائة ألف طالـب، وكذلك برنامـج «الحليب المدرسي» الـذي بدأ بفسحة الحليـب وإحلال الحليب محـل المشروبـات الغازية في المدارس، بعـد أن اتضح من الدراسـة العلمية حول نمط المعيشـة التـي قامت بها الوزارة بالتعاون مع جامعة الملـك سعود ووزارة الصحة ارتفاع نسبـة تسوس الأسنان لدى الطلاب بأكثر مـن ٦٥٪، إضافة إلى ما يعانيه الطلاب بشكل ملموس من هشاشة عظام ومن بدانة.

وكذلـك بعد أن تعطل لظروف خارجة عن الإرادة مشروع وطني كبير للحليب تعاونت فيـه بإيجابيـة كبيرة ومشكورة جميع شـركات الألبان في المملكة، جـاء برنامج الحليب المدرسـي ليبلغ أكثر من ستمائة ألف طالب، وذلك بالتعاون مع شركة تترابك العالمية. وجديـر بالذكـر تواصل هذا الفكـر فيما بعد من قبل وزارة الصحـة مشكورة في برنامج «اليـوم الوطني للحليب»، الـذي انطلق منذ عام ١٤٢٨هـ ليغطي مناطق المملكة، ويضاف إلـى ذلـك برامج أخرى عـن دور المدرسة فـي تعزيز الصحـة مثل برنامـج «المدارس المعززة للصحة»، بعد أن تم تأهيل ثلاثة من ذوي الاختصاص والكفاءة الوطنية له خارج المملكـة، يضاف إلى ذلك برامج صحة الفم والأسنان عـن الوقاية من تسوس الأسنان، والعديـد من البرامج غير المركزية بالمناطق، وكذلك اللقاءات العلمية الدورية للصحة المدرسية، التي بلغت سبعة لقاءات سنوية عند إعداد هذه الورقة.

وجديـر بالذكر أن التوجه إلـى نقل الصحة المدرسية إلى وزارة الصحة ربما يؤثر على جوانـب التوعية الصحية والوقاية، الذي يجب أن يتلقاه المتعلم كأمر أساسي ضمن إعداده للحيـاة في برامجـه التربوية في المدرسة، وإذا تم هذا التوجـه فحري بالوزارتين التنسيق التام للحفاظ على المكتسبات واستمرارها للأهمية القصوى للوقاية كما هو معروف.

١١ - المناهج:

عندمـا دمجـت الرئاسة العامة لتعليـم البنات مع الوزارة بدأت الـوزارة في توحيد الكتب الدراسيـة للمراحـل الثلاث للبنين والبنات (ما عدا ما يخص البنين فقط أو ما يخص البنات فقـط). وكونـت لجنة لذلك مـن القطاعين، وكانـت الخيـارات المطروحة أمامهـم إما كتب

البنيـن القائمـة أو كتب البنات القائمـة أو كتب البنات الواقعة تحـت التطوير من خلال لجان عمـل في بعض المناطق تحت إشراف الرئاسة العامة لتعليم البنات قبل ضمها للوزارة، (التي استفـادت بالتأكيـد ممـا أتيح لها من فرص التطويـر السابقة لكتب البنيـن، ومن بعض وثائق المشروع الشامل لتطوير المناهج، التي أعدتها الوزارة مؤخراً في قطاع البنين). وجاء القرار بتكوين لجنة لكل مادة من المتخصصين والمتخصصات في القطاعين (تعليم البنين وتعليم النبـات)، للنظـر في هذه الخيارات الثلاثـة بكل موضوعية ودقة، لاختيـار الأفضل وإجراء ما يلزم من تعديل وتطوير، حتى يتم الانتهاء من كتب المشروع الشامل. وحظيت كتب البنات التي كانت تحت التطوير بنصيب أوفر في معظم المواد باعتبارها أخذت الأفضل من الجميع وتمت مراجعتهـا وتعديلها وطباعتها. وهكذا خرجت كتب الدمج في معظمها بتأليف نسائي ومراجعة وتقويـم وتعديـل من قبـل المتخصصيـن والمتخصصات، وكانـت نقلة نوعية إلـى حد ما في الكتب الدراسية، إلا أنها لا ترقى إلى مستوى الطموح الذي يستهدفه مشروع «التطوير الشامل للمناهـج»، الذي أعدت له وثائقه سابقاً وشكلت لجانه في ذات المناطق السابقة من الجنسين مـع إضافـة مناطق أخـرى وبعض كليات المعلميـن، وبإشراف لجنة علمية لـكل تخصص من الجامعات وكليات المعلمين والوزارة والمناطق، وتم الشروع في إعداد الكتب الدراسية للمشروع الشامل خلال هذه المدة، وتم الانتهاء من بعض المواد للصف الأول والرابع الابتدائيين والأول المتوسـط خلال عام ١٤٢٥/١٤٢٦هـ وتأخر تطبيقها إلى العـام ١٤٢٧/١٤٢٨هـ في عينة من المدارس، بناء على رؤية إدارية عليا تنشد التأني والكمال من خلال هذا القرار.

وأورد هذا المشهد لطالبي الحقيقة؛ لأن هناك من كان له تفسيرات جانبها الصواب لخـروج الكتـب الدراسية حينئذ في معظمهـا بتأليف نسائي، والحـق أن السبب هو تفوق العمل النسائي الجديـد المطور المبني على خبرة قطاعي البنين والبنات على الخيارين الآخرين، وذلك حتى يكتمل عمل المشروع الشامل، وهو عمل مشترك بين المتخصصين والمتخصصات من القطاعين.

والموقـف الآخر في مجال المناهج هو وقفة تطوير كتـب التربية الإسلامية لإحداث نقلـة نوعية بها، فبمـا أن الوزارة تطبع كالمعتـاد الكتب كل سنتيـن، وبملاحظة أن كتب

التربيــة الإسلامية فــي المرحلة المتوسطة حيــن عرضها للطبع لوحظ أنهــا تحتاج إلى وقفــة مراجعــة وتطوير يخرجها عــن النمطية السائدة بلمسة إبــداع في عرض المحتوى والتصميم والإخراج، فقد تم ذلك بعون من الله وتوفيقه بناء على لقاء جمعني بزملائي فــي إدارة المناهج وقســم التربية الإسلامية بهــا، وكانت العزيمة للبــدء بكتب المرحلة المتوسطــة أولاً، لاستحقاقهــا الطباعة ذلــك العام، ومن ثم بقية المراحــل، فتم تشكيل فريــق عمل مــن الوزارة والجامعــات وإدارة التعليــم بالرياض بــدأت اجتماعاته صباحاً ومساءً لاستثمار الوقت، بقاعة في فندق الفيصلية لإنجاز العمل لأن المطابع في انتظار، وبــدأت الشكوك والمناصحة، واعتذر البعض قبل بداية العمل، وجدير بالذكر أنه زارني أحــد الإخوة الكرام مــن خارج الوزارة يناصحنــي جزاه الله خيراً حول مــاذا يراد بهذه الكتــب وبهــذه العجلة وفي وقت قصير وفــي فنادق، فشكرته على اهتمامــه بهذا الشأن، وأكــدت لــه أن ما جــاء به جزاه الله خيراً هــو هم يحمله لهذا الديــن وتعليم هذه البلاد وأبنائهــا، كمــا أكدت له أن العمل يجري فــي إطار التطوير التربوي، ومــن قبل المعنيين والمتخصصيــن، من مراجعة وتطوير وأن ما بلغك لم يبلغ حتى كبار المسؤولين بالوزارة خــارج وكالة التطوير التربوي، وأن البعض اقترح عنونة هذا العمل، (جزى الله خيراً من قــام به أو أشرف عليه)، لأن المتوقع منــه نقلة نوعية في عرض المادة العلمية والأسلوب والمعالجــة والإخــراج، تركز هذه النقلة على رفع مستوى تحصيــل الطالب وتعين المعلم علــى رفــع مستوى أدائه في المــادة ويكون مثالاً يحتــذى للمواد الأخــرى، فخرج مطمئناً شاكــراً وداعيــاً بالتوفيق. وقــد أوردت هذا المشهــد لأن البعض منا يتبــرم من مثل هذا الاهتمــام والمناصحة ويعدها مشكلة وتدخل فرد فيما لا يعنيه، وهذا خطأ يقع فيه بعض المسؤوليــن عفا الله عني وعنهم، ونحن ليس لدينــا ما نخفيه أو نخادع فيه مجتمعنا، بل إخفــاء الأمور تزيد الريبة والشــك وتقطع أوصال اللحمة الوطنيــة، التي يجب أن تسود، فرحم الله من أهدى إليَّ عيوبي، والاهتمام بالشأن العام مطلوب من كل فرد.

وكان من نتائج هذه الخطوة النقلة التي حصلت لكتب العلوم الشرعية في التعليم العام، من حيث التركيز على التفكير وطريقة التدريس وأسلوب المعالجة وتصميم الكتاب وإخراجه

بشكل جذاب للطلاب، إضافة إلى مساعدة المعلم للوصول إلى أهدافه بأيسر الطرق، وأصبح ذلك العمل أنموذجاً يحتذى لمراجعة وتطوير بقية الكتب الدراسية، ولله الحمد.

ومن المشاهد المهمة في مجال العلوم الشرعية: إعداد أول دليل لمعلم العلوم الشرعية، حيث خرج من أول فريق بحجم كبير وبأسلوب تقليدي مع ما فيه من نقاط إيجابية، وتمت مراجعته وتطويره من قبل فريق آخر استفاد من إيجابياته وتلافى سلبياته، ليحقق الهدف الأسمى. فخرج بعمل مشترك جيد ولله الحمد بشيء من الإبداع والتميز، يفخر به من قام به، والقسم المختص، والإدارة المعنية. وأسأل الله للجميع الأجر والمثوبة. وفي هذا المشهد التواصي بعدم قبول العمل بالحد الأدنى خشية المسؤولية والإجراءات الإدارية، بل الإصرار على الإتقان والتميز، ولو كلف مزيداً من المال والوقت، وهو نهج يتواصى به قطاع التطوير التربوي في توجهات الوزارة ورسالتها وقيمها.

١٢ -مواقف ومشاهد أخرى:

وهناك مشاهد ومواقف أخرى لا يتسع المجال لها في هذه العجالة منها: طبع وتوزيع (مفكرة جيب) من قبل التوجيه والإرشاد خاصة بطالب المرحلة الثانوية تعوده على التنظيم في حياته المستقبلية والحفاظ على وقته ورصد مواعيده (١٤١٨هـ)، ومنها برنامج النقل المدرسي التعاوني بإدارة النقل بشؤون الطلاب بالتنسيق مع القطاعات المعنية وأثره على برنامج الوزارة في التعاون مع القطاع الخاص، ومنها برنامج استثمار أوقات فراغ الطلاب على مستوى المملكة بإدارة النشاط بالتنسيق مع جميع القطاعات المعنية وإعداد دليل عام بذلك يحدد الأدوار والمسؤوليات، ومنها زيارة محافظتي الليث والقنفذة في رحلة عمل متواصلة دون انقطاع لأكثر من عشرين ساعة، وزيارة محافظة ينبع وافتتاح مبنى إدارتها، وفي نفس الزيارة افتتاح وحدة صحية في بدر كانت لها ذكرياتها، وفتح نوادي الحاسب الآلي في المناطق، وتكريم طلاب الصف الثالث الثانوي، وبرنامج حقيبة معلم القرآن الكريم (المقرأة)، وقائمة مشكلات الطلاب للمرحلتين المتوسطة والثانوية، زيارة أسبانيا ولقاء معالي سفير المملكة الشيخ عبد العزيز

الثنيان يرحمه الله ومثاليته وتمثيل المملكة واهتمامه بالوفود الرسمية، وتسهيل مهامهم في العمل، لجنة التطوير التربوي بين المملكة واليمن الشقيق: الحميمية والإنجاز، برنامج الإطار العام للسلوك على مستوى البيت والمدرسة وإدارة التعليم والوزارة، وضوابط ترشيح المعلمين للتوجيه والإرشاد والفكر التربوي وراء ذلك... إلخ.

من الجدير بالذكر مشهد إطلاق برنامج تنمية مهارات التفكير، حيث زارني الدكتور رشيد البكر الأستاذ المشارك بجامعة الإمام، وكان يتابع استكمال إجراءات بحث له بإدارة البحوث، فأهداني كتابه عن تنمية التفكير، وعند اطلاعي عليه وافق اهتمامي، فدعوت الدكتور البكر إلى التفكير في وضع ما كتبه موضع التنفيذ على أرض الواقع لأهمية الموضوع، فأجاب مشكوراً على الفور، حيث اتفقنا على أن أيسر وأقصر الطرق للتعاون معه هو الاستشارة، وبفضل الله ثم بفضل التفاهم مع معالي الوزير تمت الكتابة خلال أربع وعشرين ساعة إلى معالي وزير التعليم العالي وحظينا بالموافقة، وبدأ الدكتور البكر العمل مشرفاً على برنامج «مشروع تنمية مهارات التفكير»، بالتطوير التربوي ووضعت خطة اشتملت على إعداد حقائب تدريبية ودورات للمعلمين ومديري المدارس والمشرفين في قطاعي البنين والبنات، وكذلك القائمين على التأليف وورش عمل وإعداد مدربين في المناطق وإعداد دليل المعلم عن تنمية مهارات التفكير.

وبعرض الموضوع على معالي الوزير حظي بالتأييد، وتم -بحمدالله- تنفيذ الدورات التدريبية وورش العمل بتعاون مع خبراء من داخل المملكة وخارجها، وتم تأهيل العديد من المشرفين على التدريب.

وإعداد دليل المعلم لتنمية مهارات التفكير الذي طبع منه ما يزيد على أربعمائة ألف نسخة، وتوزيعه على المعلمين والمعلمات في جميع المناطق، ومن ثم تقويمه من خلال التطبيق، وأعيدت طباعته ثانية، وأسهم بعض المشرفين الذين تم تدريبهم بفاعلية في ورشة عمل عقدت خصيصاً للطبعة الثانية بناء على ما ورد من المناطق من تغذية راجعة، وهذا المشهد يؤكد سهولة التعامل وسرعة تجاوب المسؤول الأول في تحقيق تطلعات القطاعات ودعم برامجها.

الخاتمة

وبعد، فإن هذه الخواطر هي من بوح الذاكرة كما يقال وردت على سبيل المثال لا الحصر بقصد المشاركة في هذه المناسبة، والمؤكد أن إنجازات التعليم والوزارة في سابق عهدها وخلال هذه المدة وما نأمله لها مستقبلاً له أثره الكبير في نمو البلاد وما وصلت إليه بفضل الله سبحانه وتعالى، ثم بدعم قيادتها الرشيدة للتربية والتعليم في مختلف المراحل، وكذلك ما هيأته من بعثات إلى دول العالم المتقدمة في مجالات البحث والدراسة والتعليم والصناعة، وقد أثبت العديد من أبناء المملكة قدرتهم وجدارتهم في مؤسسات التعليم العالي التي التحقوا بها هناك، بل وبعضهم اختير للعمل في تلك المؤسسات بناء على تميزهم. وهذا ليس دفاعاً عن التربية والتعليم في المملكة، بل له من المشكلات كغيره من نظم التعليم في مختلف دول العالم ما يوجب التصدي لها والعمل على حلها وتلافيها، وذلك محط اهتمام كبير من الدولة والإدارات المتعاقبة على الوزارة والمناطق التعليمية.

وعلى أي حال فإن ما قصرت في ذكره من برامج مهمة ومواقف تستحق الوقوف عندها، ومن قصرت في ذكرهم من الزملاء الأعزاء في هذا المقام وهم كثر وأصحاب فضل وعلم وعمل وجهد، أسأل الله أن يذكرهم فيمن عنده خير من ذكري لهم هنا ويجازيهم خير الجزاء في الدنيا والآخرة، فكل أمة عظيمة وراءها تربية عظيمة، وكل تربية عظيمة وراءها رجال عظماء ونساء عظيمات في التربية والتعليم والإدارة والقيادة والمسؤولية في البيت والمدرسة والمجتمع.

ومع نهاية هذا الملخص من الذكريات والمشاهد أود الإشارة إلى كتيب: «وزارة التربية والتعليم: قيم وتوجهات وإنجازات» في طبعته الثانية عام ١٤٢٥هـ فقد قدم موجزاً مفيداً عن هذه المدة التي استهدفها هذا السجل.

أسأل الله العلي القدير أن ينفع بهذه الإطلالة على حقبة رائعة تربوياً وإدارياً وإنسانياً وإنجازاً لوزارة التربية والتعليم بقيادة معالي الوزير المربي الأستاذ الدكتور محمد بن أحمد الرشيد وفقه الله ورعاه.

والله ولي التوفيق والصواب والهادي إلى سواء السبيل.